احترام المقدسات

- ١ -

فى صدر الإسلام

فى أول لقاء بين الإسلام والنصرانية، عندما استقبل رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران، بالمدينة المنورة سنة ١٠هـ ٦٣١م، كان احترام الإسلام لمقدسات الآخرين الدينية معلمًا من المعالم البارزة التى أرساها الإسلام، فى النظر وفى التعامل مع هؤلاء الآخرين.

ولم يكن ذلك مجرد سماحة من رسول الإسلام ﷺ ولا محض سياسة فى التعامل مع هؤلاء الآخرين، غير المسلمين.. وإنما كان - فوق ذلك وقبله - انطلاقًا من الإيمان الدينى الإسلامى، الذى لا يكتمل إلا بالاعتراف بكل الشرائع والكتب التى يتعبد بها هؤلاء الآخرون.

فالمسلمون يتلون فى قرآنهم الكريم قول الله - سبحانه وتعالى - وصفًا لهم: ﴿ آمن الرَّسُولُ بما أُنزل إليه من ربِّه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ [البقرة: ٢٨٥] - وكتابهم - القرآن الكريم - قد جاء مصدقًا لما بين يديه من وحى الله - سبحانه وتعالى - إلى جميع الرسل والأنبياء: ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ [يونس: ٣٧] - فهذا الوحى القرآنى هو الفصل الخاتم والجامع والمفصل فى سلسلة الوحى الإلهى على مر تاريخ الرسالات والنبوات: ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا * ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء: ١٦٣، ١٦٤].

وفى هذا الوحى القرآنى يصلى المسلمون ويسلمون على كل الأنبياء والمرسلين . . ويعظمون الهدى والنور الذى أنزل الله على موسى ـ فى التوراة ـ وعلى عيسى ـ فى الإنجيل ـ ويؤكدون على الانتماء إلى ملة أبى الأنبياء، الخليل إبراهيم عليه السلام .

لهذا الإيمان الدينى الإسلامى ـ الذى أسس للسماحة الإسلامية ـ كان احترام الإسلام والمسلمين لكل مقدسات أصحاب المقدسات الدينية، منذ اللحظة الأولى للقاء الإسلام بأهل الكتاب ـ من اليهود والنصارى ـ وطوال تاريخ الإسلام .

بل إن هذه القاعدة الإسلامية قد طبقها المسلمون مع أهل الديانات الوضعية ـ ومع مقدساتهم ـ انطلاقا من حديث رسول الله ﷺ : «**سنّوا فيهم سنة أهل الكتاب**» ـ رواه الإمام مالك فى الموطأ . . فاحترم المسلمون الخصوصيات الدينية، ودور العبادة لأهل تلك الديانات، وعاش فى عالم الإسلام وحضارته المجوس والبوذيون والصابئة والهندوس، وكل ألوان الطيف الدينى ـ مع أهل الديانات السماوية ـ يتعبدون فى معابدهم، التى احترمها وصانها وقدسها الإسلام والمسلمون .

ولأن رسول الله ﷺ قد جمع إلى النبوة والرسالة قيادة الدولة الإسلامية الأولى، فلقد قنّن هذا المعلم من معالم الدين والدولة فى الإسلام، منذ اللحظة الأولى للقاء الإسلام والنصرانية، عندما جاء وفد نصارى نجران إلى المدينة المنورة، فى عام الوفود سنة ١٠ هـ ـ ٦٣١ م .

لقد فتح رسول الله ﷺ مسجد النبوة لنصارى نجران فصلوا فيه صلاة عيد الفصح، الذى حان موعده وهم ضيوف على الرسول ﷺ [1] .

كما تم التقنين ـ تفصيليًا ـ لاحترام جميع المقدسات غير الإسلامية فى الوثيقة الدستورية ـ «العهد» ـ الذى كتبه رسول الله ﷺ لنصارى نجران، ولكل المتدينين بالنصرانية . . وهو «العهد» الذى جاء فيه :

«**ولنجران وحاشيتها، ولأهل ملتها، ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية فى شرق الأرض وغربها، قريبها وبعيدها، فصيحها وأعجمها، جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله، على أموالهم، وأنفسهم، وملتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير . . وأن أحرس دينهم وملتهم أين**

كانوا . . بما أحفظ به نفسى وخاصتى وأهل الإسلام من ملتى . . لأنى أعطيتهم عهد الله أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم . . حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم».

لقد أعطى الدين الإسلامى كل غير المسلمين جميع حقوق المواطنة، مثلهم فى ذلك مثل المواطنين المسلمين . مشترطًا عليهم ما هو مشروط على المسلمين : أن يكون الولاء الكامل والانتماء الخالص لدولة الإسلام ـ التى هى دولة الجميع ـ وبنص هذا «العهد» ـ عهد الرسول ﷺ لنصارى نجران :

«واشترط عليهم أمورًا يجب عليهم فى دينهم التمسك والوفاء بما عاهدهم عليه منها : ألا يكون أحد منهم عينًا ولا رقيبًا : لأحد من أهل الحرب على أحد من المسلمين فى سره وعلانيته، ولا يأوى منازلهم عدو للمسلمين، يريدون به أخذ الفرصة وانتهاز الوثبة، ولا ينزلوا أوطانهم ولا ضياعهم ولا فى شىء من مساكن عباداتهم ولا غيرهم من أهل الملة، ولا يرفدوا أحدًا من أهل الحرب على المسلمين بتقوية لهم بسلاح ولا خيل ولا رجال ولا غيرهم، ولا يصانعوهم . . ولا يظهروا العدو على عورات المسلمين، ولا يخلوا شيئًا من الواجب عليهم»[٢].

فكل حقوق المواطنة مكفولة لغير المسلمين ـ كالمسلمين ـ وكل واجباتها كذلك، مفروضة على غير المسلمين ـ كالمسلمين ـ أن يكون الجميع لبنات فى جدار الأمن الوطنى والحضارى، لا ثغرات اختراق!

* * *

ولقد بلغ احترام الإسلام وتقديسه للخصوصيات الدينية لغير المسلمين الحد الذى تجاوز «السماح» بإقامة هذه الخصوصيات فى الدولة الإسلامية، إلى «الأمر» بإقامة هذه الخصوصيات . . ففى القرآن الكريم : ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة : ٤٧] . . ﴿وعندهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ [المائدة : ٤٣] .

وانطلاقًا من هذا القرآن الكريم، خاطب الصحابى الجليل حاطب بن أبى بلتعة [٣٥ ق هـ ـ ٣٠ هـ ٥٨٦ ـ ٦٥٠م] «المقوقس» ـ عظيم القبط بمصر ـ عندما حمل إليه رسالة

رسول الله ﷺ سنة ٧ هـ ـ ٦٢٨م، فقال له: «.. **ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به**»[٣].

* * *

ولم تقف هذه السماحة، وهذا التقديس لخصوصيات الآخرين الدينية ـ عقائد.. وكنائس.. ومؤسسات دينية ـ عند دولة النبوة.. بل كانت سمة عامة ومرعية طوال تاريخ الإسلام.. لأن الدولة الإسلامية، التى تحرس الدين، هى الدولة التى يسوسها الدين، ويعلمها القرآن الكريم أن التدافع والدفع ليس فقط لحماية المقدسات الإسلامية، وإنما لحماية دور العبادة الخاصة بكل أصحاب الشرائع الدينية: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج: ٤٠].

فعندما فتح المسلمون القدس سنة ١٥هـ ـ ٦٣٥م أعطى الراشد الثانى الفاروق عمر ابن الخطاب [٤٠ق هـ ـ ٢٣ هـ / ٥٨٤ ـ ٦٤٤م] أهل القدس ـ من النصارى ـ «العهد العمرى» ـ الذى ضمن لهم:

«**الأمان لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم.. لا تُسكن كنائسهم، ولا تُهدم، ولا يُنتقص من حيّزها، ولا من صليبهم، ولا من شىء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم**»[٤].

بل لقد بلغ احترام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ يومئذ ـ لكنيسة القيامة، الحد الذى جعله يعتذر لبطرك القدس «صفرينيوس» [١٧ هـ ـ ٦٣٨م] عن عدم الصلاة ـ صلاة عمر ـ فى الكنيسة احترامًا لخصوصيتها واختصاص أهلها بها، وكى لا يأتى حاكم مسلم ـ فى قادم الزمان ـ فيتأول صلاة عمر فى الكنيسة، بأن للمسلمين حقًا فى جزء منها!!

وعندما فتح المسلمون مصر ـ بقيادة الصحابى الجليل عمرو بن العاص [٥٠ ق هـ ـ ٤٣هـ/ ٥٧٤ ـ ٦٦٤م] ـ لم يقف الفتح الإسلامى ـ فقط ـ عند تحرير الأرض من الاستعمار الرومانى ـ الذى امتد عشرة قرون ـ وتحرير الضمير الدينى من القهر الرومانى البيزنطى.. وإنما امتد هذا التحرير إلى حيث حرر المسلمون أيضًا كنائس النصرانية ـ المصرية ـ الأرثوذكسية، التى كانت مغتصبة من قبل الرومان ـ ومذهبهم الملكانى ـ حرر

المسلمون هذه الكنائس، لا ليجعلوها مساجد إسلامية، وإنما ليعيدوها إلى أقباط مصر يمارسون فيها عباداتهم النصرانية.. الأمر الذى جعل فقهاء الإسلام يقولون إن جميع كنائس مصر قد حُدِّثت وبنيت بعد الفتح الإسلامى!

ويومئذ، أعاد المسلمون البطرك القبطى «بنيامين» [٣٩هـ ـ ٦٥٩م] بعد أن ظل هاربًا من الرومان ثلاثة عشر عامًا.. فتسلم كنائسه وأديرته ـ التى حررها الإسلام ـ وأخذ يزورها فى مواكب الفرح الشعبى والسرور الوطنى.. وبعبارة الأسقف القبطى «يوحنا النقيوسى» ـ المعاصر لهذا الفتح والتحرير.. والذى وصف عودة البطرك «بنيامين» إلى كنائسه التى حررها الإسلام ـ فقال:

«.. ودخل الأنبا بنيامين بطريرك المصريين مدينة الإسكندرية، وسار إلى كنائسه، وزارها كلها، وكان كل الناس يقولون: هذا النفى، وانتصار الإسلام، كان بسبب ظلم هرقل الملك [٦١٠ ـ ٦٤١م] وبسبب اضطهاد الرومان للأرثوذكسيين.. وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر.. ولم يأخذ عمرو بن العاص شيئًا من مال الكنائس.. وحافظ عليها طوال الأيام».

وفى مهرجان الفرح هذا ـ بتحرير الإسلام لكنائس مصر، وإعادتها لأصحابها ـ أعلن البطرك بنيامين: أن الإسلام قد حقق أحلامه.. حقًا:

«لقد وجدت فى الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما، بعد الاضطهادات والمظالم التى قام بتمثيلها الظلمة المارقون»[٥].

ومع تحرير الإسلام لكنائس مصر، وردها إلى أهلها.. حرر الإسلام ـ كذلك ـ أديرة الرهبان المصريين، الذين كانوا هاربين ـ قبل الفتح الإسلامى ـ من اضطهاد الرومان فى المغارات والصحارى وشعاب الجبال.. فزحف هؤلاء الرهبان للقاء عمرو ابن العاص، شاكرين له تحقيق أحلامهم.. حتى **«يروى أنه خرج للقائه من أديرة وادى النطرون سبعون ألف راهب، بيد كل واحد عكاز، فسلموا عليه. وأنه كتب لهم كتابًا ـ [بالأمان] ـ هو عندهم»**[٦].

***

ـ ٢ ـ

وفى التاريخ : موقفان

ولم تقف هذه السماحة الإسلامية، التى تقدس مقدسات الآخرين، عند عهد الصحابة والخلافة الراشدة وصدر الإسلام.. وإنما ظلت عقيدة إسلامية يضعها المسلمون فى الممارسة والتطبيق.. حتى لقد شهد رجل الدين القبطى «ميخائيل السريانى» ـ بعد قرون من الفتح الإسلامى ـ على استمرار هذه السماحة الإسلامية، فقال:

«لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدى الرومان، وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية، وعشنا فى سلام»[٧].

كما شهد على استمرار هذه السماحة أول مؤرخ قبطى لتاريخ البطاركة ـ «ساويروس بن المقفع» ـ فى القرن العاشر الميلادى ـ فقال:

«وبدأت عمارة ديارات وادى هبيب والمنى، وكانت أعمال الأرثوذكسيين تنمو، وكانت الشعوب فرحين مثل العجول الصغار إذا حُلَّ رباطهم وأطلقوا على ألبان أمهاتهم»![٨]

وهكذا عاشت وتعايشت ـ فى ظل الدولة الإسلامية، والتاريخ الإسلامى ـ بل وازدهرت كل ألوان الطيف الدينى.. وكل المقدسات الدينية لكل أصحاب الديانات.. حتى لقد أفتى فقيه مصر الليث بن سعد [٩٤ ـ ١٧٥هـ/ ٧١٣ ـ ٧٩١م] **«بأن بناء الكنائس يعد من عمارة البلاد»!**[٩]

ولقد كانت القدس التى احتكرها الرومان لأنفسهم، فى عهد وثنيتهم، وفى عهد نصرانيتهم كانت طوال التاريخ الإسلامى العنوان المجسد لسماحة الإسلام مع سائر

المقدسات . . فتعايشت فيها وعاشت كل المقدسات ـ النصرانية . . واليهودية ـ حتى لتشهد «حجج» أوقاف كنائسها، التى كتبها أهلوها على ذلك، عندما جعلوا نظّار أوقاف هذه الكنائس عائلات مسلمة، ترعى هذه الأوقاف الكنسية . . بل ونصّ الكثير من «حجج» أوقاف هذه الكنائس المقدسية على أن تكون أسر مسلمة هى الحاملة «لمفاتيح» هذه الكنائس، تيسر فتح أبوابها أمام الطوائف النصرانية ـ المتخالفة فى الطقوس والاعتقادات ـ ليؤدى الجميع فيها القداديس والصلوات!

***

وإذا كان هذا هو موقف الإسلام ـ العقدى . . والفقهى . . العملى ـ من مقدسات الآخرين . . فماذا كان موقف الغرب ـ الكنسى . . والسياسى ـ من مقدسات الإسلام، ومساجد المسلمين، إبان فترات الاحتكاك بين الغرب وعالم الإسلام؟ . .

إن القدس، التى جعلها الإسلام حرمًا آمنًا لكل أصحاب الديانات، ولجميع المقدسات، عندما احتلها الصليبيون سنة ٤٩٢ هـ ـ ١٠٩٩م، قد أبادوا كل من وجدوه فيها من المسلمين ـ ومن اليهود أيضًا ـ أبادوا سبعين ألفًا، فى مجزرة وحشية ورهيبة استمرت سبعة أيام! . . وهى مجزرة شارك فيها ـ مع فرسان الإقطاع الأوروبيين ـ بطاركة الكنيسة الكاثوليكية وقساوستها . . حتى لتصف المستشرقة الألمانية الدكتورة «سيجريد هونكة» تلك الإبادة، التى اعتبرها هؤلاء القساوسة أعظم ما يتقربون به إلى الله!! . . فتقول:

«لقد كان البطريرك نفسه يعدو فى أزقة بيت المقدس، وسيفه يقطر دمًا، حاصدًا به كل من وجده فى طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة وقبر المسيح، فأخذ فى غسل يديه تخلصًا من الدماء اللاصقة بها، مرددًا كلمات المزمور: «يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم، فيقول الناس: حقًا إن للصدّيق مكافأة، وإن فى الأرض إلهًا يقضى» ـ المزمور ٥٨: ١٠ ـ ١١.

ثم أخذ ـ [البطريك] ـ فى أداء القداس، قائلاً: «إنه لم يتقدم فى حياته للرب بأى قربان أعظم من ذلك ليرضى به الرب»!![١٠]

وإذا كانوا لم يرحموا البشر، الذين استمر ذبحهم لهم «حتى كلّت أيديهم من الذبح والقتل!!» . . فإنهم لم يحترموا المقدسات . .

فمسجد عمر بن الخطاب ـ عمر، الذى سبق أن أعطى الأمان لمقدساتهم، واحترم خصوصياتها ـ قد احتمى بمسجده ـ مسجد قبة الصخرة ـ جمهور من المسلمين الهاربين من القتل والذبح والحرق.. فاقتحمه الصليبيون، وذبحوا جميع من فيه، حتى لقد تحول المسجد إلى بحيرة متموجة من الدماء، سبحت فيها خيول الصليبيين إلى لجم الخيل!!.. وبعبارة المؤرخ النصرانى ـ رجل الدين ـ «مكسيموس مونروند» ـ فى كتابه [تاريخ الحروب المقدسة فى المشرق، المدعوة حرب الصليب] ـ التى يصف فيها ما حدث للقدس الشريف على أيدى الصليبيين:

«إن ديوان المشورة العسكرية ـ [الصليبى] التيم ـ [اجتمع] ـ وقطع حكمًا مرهبًا، وهو: أن يُمات كل مسلم باق داخل المدينة المقدسة. وهذا الحكم المهيل قد تباشر بالعمل.. ودامت هذه الملحمة مدة سبّت ـ [أى سبعة أيام] ـ كاملة.

والمؤرخون يتفقون على أن الإسلام ـ [أى المسلمين] ـ الذين ذُبحوا داخل أورشليم بلغوا سبعين ألفًا. ثم إن اليهود قد كانوا داخلين فى عدد المحكوم؛ لأن ألفاظ الحكم كانت بالموت ضد غير المؤمنين، بدون تميز المسلم من اليهودى.

على أنه باطلاً ـ [أى عبثًا] ـ كان الإسلام ـ [أى المسلمون] ـ فى أورشليم، فى اليوم المذكور، يجدّون مفتشين عن مهرب يحمون به حياتهم؛ لأن هذه المدينة خلت من ملجأ لهم. فعدد كلى منهم قد هربوا إلى جامع عمر، ظانين أنهم هناك يحمون ذواتهم من الموت، ولكن ظنهم خاب، إذ إن الصليبيين ـ خيّالة ومشاة مختلطين ـ قد دخلوا الجامع المذكور، وأبادوا بحد السيف كل الموجودين هناك.. وحسب تقرير «رايموند ده أجلاس»: فقد طاف الجامع من الدماء حتى أنه تحت القناطر التى عند بابه احتقن الدم وعلا إلى حد الركب، بل إلى لجم الخيل.. وقال «روبارتوس» الراهب: إن جامع عمر قد استوعب من الدم المحتقن فيه كفى بحر متموج، وذلك مما فتكت به سيوف الجيوش الصليبية أرقاب ـ [رقاب] الإسلام ـ [المسلمين].

كانت المذابح رهيبة، جرت دماء المغلوبين فى شوارع المدينة حتى ارتفع مستوى الدم ووصل إلى ركب من سار فيها.

ولما حل المساء، اندفع الصليبيون يبكون من فرط الضحك!! ـ بعد أن أتوا على نبيذ المعاصر ـ إلى كنيسة القيامة، ووضعوا أكفهم الغارقة فى الدماء على جدرانها، ورددوا الصلوات!!

لقد استحال منظر أورشليم، بغتة، إلى مشهد جديد؛ لأنها فى أيام قليلة، انقلبت من ديانه إلى أخرى، ومن شرايع إلى غيرها، ومن مراسيم وعوايد إلى أخرى، ومن سكان إلى غيرهم، فالغالبون أضحوا أغنيا بالغنايم التى امتلكوها بين أيديهم.. فالقايد «تنكريد» قد امتلك جميع الغنى الذى وجد فى جامع عمر، وهذه كانت عظيمة المقدار والقيمة، حتى أنه لم تكفها ست عربانات كبيرة لنقلها، وأنه قد استمر مدة يومين فى إخراجها من ذلك الجامع»!![11].

تلك شهادة شهود العيان من النصارى.. نقله مؤرخون نصارى.. وحرصنا على تقديمها حتى بالأسلوب الركيك الذى صاغوها به.. وهى شهادة لا تحتاج إلى تعليق.. بل هى أبلغ من أى تعليق على هذا الذى صنعه الغرب الاستعمارى بمقدسات الإسلام.. وبالمسلمين.. فى المدينة التى جعلها المسلمون حرمًا آمنا لكل المقدسات.. والتى أطلقوا عليها اسم «القدس» و«بيت المقدس» و«الحرم القدسى الشريف»، تجسيداً للقداسة التى صارت عنوانًا عليها فى حضارة الإسلام.

ولم يكتف الصليبيون بهذا الذى صنعوا.. وإنما قاموا باحتكار القدس لهم، دون كل أصحاب الديانات والمقدسات.. فحولوا المسجد الأقصى إلى كنيسة لاتينية.. وجعلوا جزءاً منه اصطبلاً للخيول!!

***

بل إن الاستهانة والإهانة والتدنيس والتدمير، التى ألحقها الصليبيون بالمقدسات، لم تقف عند المقدسات الإسلامية ـ واليهودية ـ بمدينة القدس.. وإنما عمت مقدسات الكنيسة الشرقية ـ فى القسطنطينية ـ!!.. فعندما احتلوها ـ وهم فى طريقهم إلى الشرق ـ سنة ١٢٠٣م: **«أخذوا يعيثون بها فسادًا كأنهم جراد منتشر ملتهم.. فانقضوا على المدينة الغنيمة فى أسبوع عيد الفصح، وأتوا فيها من ضروب السلب والنهب ما لم تشهده روما نفسها على أيدى الوندال أو القوط.. ووزع الأشراف اللاتين قصور المدينة فيما بينهم، واستولوا على ما وجدوه فيها من الكنوز، واقتحم الجنود البيوت، والكنائس والحوانيت، واستولوا على كل ما راقهم مما فيها، ولم يكتفوا بتجريد الكنائس، مما تجمع فيها خلال ألف عام من الذهب والفضة والجواهر، بل جردوها ـ**

فوق ذلك ـ من المخلفات المقدسة، ثم بيعت هذه المخلفات بعدئذ بأوروبا الغربية بأثمان عالية.

وعانت كنيسة أيا صوفيا من النهب ما لم تعانه فيما بعد على يد الأتراك سنة ١٤٥٣م، فقد قُطِّع مذبحها العظيم تقطيعًا لتوزع فضته وذهبه.. وامتدت أيديهم إلى التماثيل، والأقمشة، والجواهر، ونقلت الجياد البرونزية الأربعة التى كانت تطل على المدينة اليونانية ـ وجُمِّل بها ميدان القديس مرقس، بروما.. وكانت هذه السرقات المنظمة مصدر تسعة أعشار مجموعات الفنون والجواهر التى امتازت بها كنوز كنيسة القديس مرقس عن سائر الكنائس.

وبُذلت محاولة ضئيلة للحد من اغتصاب النساء، وقنع الكثيرون من الجنود بالعاهرات، ولكن شهوات اللاتين المكبوتة لم ينج منها الكبار أو الصغار، ولا الذكور ولا الإناث، ولا أهل الدنيا أو الدين، فقد أرغمت الراهبات اليونانيات على احتضان الفلاحين أو السائسين البنادقة والفرنسيين!

وبُدِّدت فى أثناء هذا السلب والنهب محتويات دور الكتب، وأتلفت المخطوطات الثمينة، أو فُقدت، واندلعت ألسنة النيران بعدئذ مرتين فى المدينة فالتهمت دور الكتب والمتاحف كما التهمت الكنائس والمنازل.

واستُبدل برجال الدين اليونان غيرهم من اللاتين، ورُسِّم كثير منهم قساوسة دون أن يكون لهم تاريخ سابق فى شئون الدين!

وعاد معظم الصليبيين إلى أوطانهم مثقلين بالغنائم التى نهبوها!![١٢]

هكذا صنع الصليبيون بعاصمة الكنيسة الشرقية وكنائسها وكنوزها وأهل الدين والدنيا فيها ـ على حد وصف مؤرخ الحضارة «ول ديورانت» ـ لمجرد الاختلاف فى المذهب.. وليس فى الدين!!

* * *

ـ ٣ ـ

وفى العصر الحديث

ولم تقف هذه الجرائم الوحشية التى ارتكبها الغرب الاستعمارى فى حق المقدسات الدينية عند عصوره الوسطى والمظلمة . . بل لازمت غزوات هذا الغرب الاستعمارى حتى فى عصره الحديث ـ عصر النهضة ـ والاستنارة والتنوير :

فنابوليون بونابرت [١٧٦٩ ـ ١٨٢١م] إبان غزوته لمصر [١٢١٣هـ ـ ١٧٩٨م] اقتحمت جيوشه الجامع الأزهر الشريف . . وهو واحد من أعرق المساجد والجامعات فى العالم الإسلامى . . والذى أطلق عليه المسلمون ـ عبر تاريخهم ـ وصف «الشريف» . . مع الحرم المكى الشريف . . والحرم المدنى الشريف . . والحرم القدسى الشريف ـ فعاثت جيوش الغزوة الفرنسية فى حرم هذا الأزهر فسادًا، حتى لقد ارتكبوا فيه جرائم القتل والنهب والسرقة وتمزيق المصاحف الشريفة وكتب الحديث النبوى الشريف . . بل لقد بالوا وتغوّطوا وسكروا فيه!

ولقد تحدث مؤرخ ذلك العصر عبد الرحمن الجبرتى [١١٦٧ ـ ١٢٣٧ هـ/ ١٧٥٤ ـ ١٨٢٢م] عن هذه الجريمة ـ فقال :

«لقد دخل أولئك الوعول [التيوس!!] ـ إلى الجامع الأزهر، وهم راكبون الخيول . . وداس فيه المشاة بالنعالات وهم يحلمون السلاح والبندقيات، وتفرقوا فى صحنه ومقصورته، وربطوا خيولهم بقبلته، وعاثوا فى الأروقة والحجرات، وكسروا القناديل السهارات، وهشموا خزائن الطلبة، والمجاورين والكتبة، ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأوانى والقصاع، والودائع والمخبآت، بالدواليب والخزانات، ودشتوا الكتب والمصاحف، وعلى الأرض طرحوها وبأرجلهم ونعالهم داسوها، وأحدثوا

بالمسجد وتمخطوا، وبالوا وتغوّطوا، وشربوا الشراب وكسروا أوانية، وألقوها بصحنه ونواحيه.

وكل من صادفوه به عرّوه، ومن ثيابه أخرجوه، ووجدوا فى بعض الأروقة إنسانًا فذبحوه، ومن الحياة أعدموه، وفعلوا بالجامع الأزهر، ما ليس عليهم بمستنكر؛ لأنهم أعداء الدين، وأخصام متغلبون، وغرماء متشمتون، وضباع متكالبون، وأجناس متباينون، وأشكال متعاندون. وأعطى تلك الليلة جيش الرحمن، فسحة لجيش الشيطان»!![١٣].

هكذا صنع جيش الحملة الفرنسية ـ الذى كان يرفع أعلام الثورة الفرنسية.. وشعارات الحرية والإخاء والمساواة ـ ببيت من بيوت الله.. وجامعة هى أعرق جامعات الإسلام..

وصدق الجبرتى عندما وصفه بأنه «جيش الشيطان» الذى حل محل «جيش الرحمن»!!

وإذا كانت ثورات الشعب المصرى ضد هذه البربرية ـ التى أبادت سُبُعَ تعداد الشعب المصرى يومئذ!! ـ قد جعلت بونابرت ـ الذى دوخ أوروبا ـ يهرب من مصر بليل.. فلم يتجاوز عمر احتلال جيشه لمصر العامين إلا قليلاً.. فإن الاستعمار الفرنسى للجزائر ـ والذى دام قرنًا وثلث القرن ـ من سنة ١٨٣٠م حتى سنة ١٩٦٢م ـ قد حول الكثير من مساجدها إلى كنائس.. وعلب ليل.. وخمارات!!.

ولقد ظل هذا العار الأوروبى قائمًا طوال تلك العقود.. حتى استطاع الشعب الجزائرى أن يحرر أرضه الطاهرة، ويعيد مساجده إلى رحاب الله، بعد أن غسلها الشعب بالماء والعطور والمطهرات والدموع!.. فارتفع الأذان من مآذنها مرة ثانية.. بعد أن خاب إعلان الكرادلة الفرنسيين الكاثوليك ـ سنة ١٩٣٠م: «لقد ولّى ـ فى الجزائر ـ عهد الهلال.. وأقبل عهد الصليب»!!

***

وتتكرر جريمة الغرب الاستعمارى مع الأزهر الشريف ـ مرة أخرى ـ على أيدى المستعمرين الإنجليز، إبان ثورة الشعب المصرى سنة ١٩١٩م.. فيحاولون إغلاقه فى

٢ إبريل سنة ١٩١٩م . . ولكن شيخه الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى [١٢٦٣ ـ ١٣٤٦هـ/ ١٨٤٧ ـ ١٩٢٧م] يرفض ذلك[١٤] . . لكنهم يعودون فيقتحمونه ويدنّسونه فى ١١ ديسمبر سنة ١٩١٩م .

ويتحدث مؤرخ الوطنية المصرية عبد الرحمن الرافعى [١٣٠٦ ـ ١٣٨٦هـ/ ١٨٨٩ ـ ١٩٦٦م] عن هذه الجريمة فى حق المقدسات الإسلامية، فيقول:

«لقد وقع فى يوم ١١ ديسمبر سنة ١٩١٩م ـ ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٣٨هـ ـ حادث اهتزت له أرجاء القاهرة، وأثار عاصفة من السخط والاستنكار فى أنحاء البلاد، وهو اقتحام الجنود الإنجليزية الجامع الأزهر. لقد دخلوه بنعالهم وأسلحتهم ـ مطاردين للمتظاهرين ـ واعتدوا على من صادفوهم بالضرب والإيذاء، فحدث هرج ومرج فى الجامع، واقتحم الجنود مكاتب الإدارة، وحاولوا كسر الأبواب، ففزع الموظفون، وحدثت ضجة كبيرة داخل الجامع وخارجه».

ولقد احتج على هذه الفعلة الشنيعة ـ فعلة «اقتحام الجنود الإنجليز بنعالهم وعصيهم هذا المعهد الإسلامى المقدس والجامعة الإسلامية الكبرى، التى يؤمها طلاب العلوم من جميع الأقطار» ـ احتجوا على هذه البربرية التى تنتهك حرمات المقدسات».

ووقّع على هذا الاحتجاج أكثر من مائة من كبار علماء الأزهر الشريف . .[١٥]

***

ولا تنتهى فصول هذه الإهانات والاستهانات بمقدسات الإسلام والمسلمين، من قبل المستعمرين الغربيين . . ففى أحدث فصولها، وإبان الهجمة البربرية الأمريكية على مدينة «الفالوجة» العراقية ـ فى أكتوبر ـ نوفمبر سنة ٢٠٠٤م ـ وهى مدينة صغيرة، لا يتجاوز عدد سكانها الثلاثمائة ألف نسمة، ولا تزيد مساحتها على أربعة كيلومترات فى الطول والعرض ـ أى أنها قرية كبيرة . . إبان الهجوم على «الفالوجة» دمر الجيش الأمريكى أغلب مساجدها، مرتكبًا فيها جرائم الحرب والعداء للإنسانية ـ من مثل قتل الأسرى . . والإجهاز على الجرحى . . وقتل العزّل من النساء والشيوخ والأطفال، الذين احتموا بهذه المساجد من دمار الأسلحة الفتّاكة والمحرَّمة دوليًا!!

ومن هذه المساجد التى تمَّ تدميرها ـ كليًا أو جزئيًا ـ والتى حوّل الأمريكان بعضها إلى ثكنات عسكرية يعيث فيها الجنود فسادًا!! ـ والتى سوّوا بعضها بالتراب: «جامع أبو أيوب ـ وجامع الشيخ زامل ـ ومسجد الفردوس ـ ومسجد البراءة والهداية ـ ومسجد الحاج نزال ـ وجامع الخلفاء ـ وجامع المدلل ـ ومسجد الحسن والحسين ـ وجامع معاوية ـ وجامع حسين شلش ـ ومسجد أبو عبيدة ـ ومسجد الراوى ـ ومسجد الضاحى»[١٦].

لقد دمروا أغلب مساجد الفالوجة ـ أربعين مسجدًا من سبعين! ـ وذلك فى أحدث فصول الإهانات والانتهاكات الغربية لمقدسات الإسلام والمسلمين.

ومن قبل مساجد الفالوجة.. كان الاقتحام والتدنيس لمرقد الإمام علىّ بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ بمدينة النجف.. والعدوان على مسجد الإمام أبى حنيفة النعمان [٨٠ ـ ١٥٠هـ/ ٦٩٩ ـ ٧٦٧م] ـ ببغداد ـ وغيرها من المقدسات الكبرى والشهيرة والتاريخية فى العراق.

فهل يكون هذا الفصل ـ فصل الخزى والعار الأمريكى بالعراق ـ هو خاتمة هذه الفصول، التى توالت على مر تاريخ الاستعمار الغربى للشرق الإسلامى؟!

يبدو أن فصل الخزى والعار ـ الأمريكى والغربى فى الفالوجة ـ إزاء المقدسات الإسلامية، ليس آخر هذه الفصول.. فلقد نشرت النيوزويك الأمريكية ـ فى ٩ مايو سنة ٢٠٠٥م ـ أنباء وضع المحققين الأمريكيين ـ فى معتقل «جوانتانامو» ـ نسخ المصحف الشريف فى المراحيض!!.. كجزء من التعذيب للمعتقلين المسلمين هناك!!.. «فتفوقوا» على فعلة جنود بونابرت فى الأزهر الشريف!!

ومع ذلك ظل الضمير الغربى صامتًا ـ إن لم نقل ميتًا ـ إزاء الانتهاكات لحرمات المقدسات، ما دامت أن هذه المقدسات خاصة بالإسلام والمسلمين؟!

***

أما فصول الدنس الذى ألحقته ـ وتلحقه ـ الصهيونية بالمقدسات الإسلامية على أرض فلسطين.. فإنها بحاجة، إلى حديث خاص، يجلى هذه الصفحة من صفحات الخزى والعار التى تتسابق فيها الصهيونية اليهودية مع الصليبية الغربية فى هذا المضمار!؟

ـ ٤ ـ

وفى معاملة الأسرى.. واحترام العهود

على الرغم مما قننته «اتفاقات چنيف» سنة ١٩٤٩م من قواعد تحكم معاملة أسرى الحروب.. والمدنيين الذين يتحولون إلى ما يشبه الأسرى، فى ظل الاحتلال العسكرى لبلادهم.. إلا أن هذه القضية قد أثيرت بحدة فى السنوات الأخيرة، وذلك بسبب المعاملات غير الإنسانية واللاأخلاقية والوحشية التى شاعت فى معاملة الأسرى على ساحات كثيرة من ساحات الصراعات المعاصرة.

فالشعب الفلسطينى، قد أصبح أسيرًا لآلة الحرب الصهيونية، وللممارسات العنصرية اليهودية، محرومًا من أدنى حقوق الأسرى!.. فحتى جرحى هذا الشعب المجاهد يتركون لتنزف دماؤهم فيموتون صبرًا.. وتمنع سيارات الإسعاف من إنقاذ حياتهم.. بل وتُضرب سيارات الإسعاف بالصواريخ الصهيونية، على نحو لا سابقة له حتى فى حروب النازيين والفاشيين.. وربما التتار أيضًا!.. ويتم ذلك، فى حماية الهيمنة الغربية والأمريكية، التى صاغت دولها اتفاقات چنيف سنة ١٩٤٩م!!

أما أسرى السجون الصهيونية ـ من آلاف الفلسطينيين ـ فلقد تجاوز الأمر معهم حد الحرمان من الحقوق، ووصل إلى التعذيب «الفنى ـ المنظم»، الذى قننته «العدالة الصهيونية»!

وأسرى الشعب الأفغانى، الذين سقطوا بيد الأمريكان وحلفائهم سنة ٢٠٠٢م. قد صُبَّ عليهم الزيت فى «قلعة جانج».. بشَمال أفغانستان ـ وحُرقوا حرقًا!!.. ومن أفلتوا من الحرق شحنوا فى «حاويات» شحن البضائع، فماتوا خنقًا!!

ومنذ ذلك التاريخ، والعالم يشهد ـ بالصور الملونة ـ قصص التعذيب «المنظم ـ والعلمى!» للأسرى الذين وقعوا بيد الأمريكان، من «جوانتانامو» إلى «كابول»!

ثم جاء المشهد العراقى الدامى، الذى أقامه العدوان الأمريكى للأسرى العراقيين ـ نساء ورجالاً، شيبًا وشبانًا.. علماء وعامة ـ منذ عدوان سنة ٢٠٠٣م على العراق.. وهو المشهد الدامى فى إذلاله، والمذل فى دمويته ولا إنسانيته.. والذى افتضحت قطرات من محيطه فى سجن واحد من سجونه، وهو سجن «أبو غريب»، بالقرب من بغداد.. حيث شهد العالم ـ بالصورة الملونة ـ الاستباحة الأمريكية لكل المقومات التى مثلت جماع إنسانية الإنسان وفى مقدمتها مقومات احترام النفس.. والعرض.. والدين!ـ التى هى كل ما بقى للأسير والسجين!!

ثم جاءت حوادث فردية أسرت فيها جماعات عراقية مجهولة أفرادًا يعملون فى خدمة المجهود الحربى لقوات الاحتلال الأمريكى فى العراق.. حيث قتلت هذه الجماعات أفرادًا من هؤلاء «الأسرى» أو المخطوفين، عندما لم تستجب دولهم أو الشركات التى يعملون بها لمطلب مقاطعة جيوش الاحتلال.. الأمر الذى أثار الكثير من التساؤلات الملحة حول الموقف الإسلامى من معاملة الأسرى.. وذلك على النحو الذى يرشح صفحات التاريخ الإسلامى فى معاملة الأسرى، وكذلك صفحات التاريخ الغربى إزاء هذا الموضوع ـ معاملة الأسرى ـ لتكون موضوعًا للدراسات التى تستدعى هذا التاريخ ليجيب عن علامات الاستفهام التى قامت فى واقعنا الراهن حول هذا الموضوع ـ «القديم ـ الجديد».

***

وبادئ ذى بدء فإن القرآن الكريم قد جعل المعاملة الحسنة للأسرى، وإيثارهم بالطعام ـ المحبوب والمطلوب ـ على النفس، صفة من صفات المؤمنين الأبرار، الذين وعدهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بجنات النعيم المقيم، فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا**﴾ [الإنسان: ٥ ـ ١٢].

ولقد جاءت هذه الآيات فى سورة «الإنسان»، الذى جاهد غرائز الانتقام من الأسرى ـ الذين قتلوا إخوانه وذويه ـ فتسامى فوق غرائز الانتقام هذه، فى لحظات القوة والقدرة، وعامل الأسرى الذين تجردوا من كل قوة، بهذا المستوى من مستويات الإنسانية والإيثار.

ولقد ذكر «الماوردى» [٣٦٤ ـ ٤٥٠هـ/ ٩٧٤ ـ ١٠٥٨م] أن هذه الآيات قد نزلت فى الذين عهد إليهم رسول الله ﷺ برعاية الأسرى الذين أسروا فى غزوة بدر [٢هـ ٦٢٤م] ـ وكانوا من صناديد الشرك.. وفى قراءة أسماء هؤلاء السبعة الذين عهد إليهم الرسول القائد بهذه المهمة دلالة لا يخطئها العقل.. فهم سبعة من العشرة الذين تكونت منهم أولى الهيئات الدستورية فى الدولة الإسلامية ـ هيئة المهاجرين الأولين: أبو بكر الصدّيق [٥١ ق. هـ ـ ١٣هـ/ ٥٧٣ ـ ٦٣٤م]، وعمر بن الخطاب [٤٠ ق. هـ ـ ٢٣هـ/ ٥٨٤ ـ ٦٤٤م]، وعلى بن أبى طالب [٢٣ق. هـ ـ ٤٠هـ/ ٦٠٠ ـ ٦٦١م]، والزبير بن العوام [٢٨ ق. هـ ـ ٣٦هـ ٥٩٦ ـ ٦٥٦م]، وعبد الرحمن بن عوف [٤٤ق. هـ ـ ٣٢ هـ/ ٥٨٠ ـ ٦٥٢م]، وسعد بن أبى وقاص [٢٣ ق. هـ ـ ٥٥هـ/ ٦٠٠ ـ ٦٧٥م]، وأبو عبيدة بن الجراح [٤٠ق. هـ ١٨هـ/ ٥٨٤ ـ ٦٣٩م].

تلك هى مكانة هذه الأمانة ـ الأسرى ـ وتلك هى مكانة الأمناء على هذه الأمانة، فى أول تطبيق إسلامى للبلاغ القرآنى ـ الذى جاءت به سورة الإنسان ـ فى هذا الميدان.

أما المصير الذى حدده القرآن الكريم للأسرى، فلقد عينته آيات سورة «القتال ـ محمد»، وهو: إما المن بالتحرير والحرية دونما مقابل، وإما الفداء ﴿ **فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ** ﴾ [محمد: ٤ ـ ٦].

فهذه المعاملة للأسرى ـ المن أو الفداء ـ هى «جهاد أكبر»، يدخل المؤمنون ميدانه بعد أن فرغوا من القتال ـ «الجهاد الأصغر» ـ وذلك عندما لا ينتقمون ـ بالقتل ـ من الأسرى ـ الذين قتلوا من قتلوا من المؤمنين فى المعركة.. فالحفاظ على حياتهم، والمن

عليهم بالحرية دون مقابل أو بالفداء ـ هو جهاد وابتلاء وامتحان من الله لعزائم المؤمنين، ولو شاء ـ سبحانه ـ لانتصر وانتقم هو من هؤلاء الأسرى ـ الذين قتلوا المؤمنين ـ فليس للمنتصرين أن ينتقموا من الأسرى، وفاء وقصاصًا لشهداء المسلمين الذين قتلوا بأيديهم، فلهؤلاء الشهداء عند الله من النعيم ما يذهب أية نوازع للانتقام من صدور إخوانهم المنتصرين.. لهم الجزاء الأوفى، والهدى، وصلاح البال، والنعيم المقيم فى الجنات ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤ ـ ٦] ـ فلا داعى للانتقام لهم من الأسرى.. وإنما هو المن أو الفداء!

ولقد كانت السنة النبوية الشريفة هى البيان الرسالى والتطبيق الأمين لهذا البلاغ القرآنى.. وإذا كان الرسول ﷺ قد قتل واحدًا أو اثنين من أسرى بدر ـ كما تقول روايات التاريخ ـ فإنهما لم يقتلا بحكم الأسر ـ وإلا لطبق ذلك على كل الأسرى ـ وإنما قتل من قتل قصاصًا من جرائم قد ارتكباها، وكانا مطلوبين للقصاص فيها حتى قبل القتال والأسر.. فلا مجال للغط الجاهلين والمفترين بأن رسول الله ﷺ قد قتل أسرى يوم بدر.

أما المقتولون من بنى قريظة ـ عقب غزوة الأحزاب [٥هـ ـ ٦٢٧ م] فلم يُقتلوا كأسرى، وإنما قُتلوا جزاء خيانتهم، ووفق حكم التحكيم الذى اختاروه هم واختاروا حكامه.. فلم يكونوا أسرى معركة قتالية، وإنما كانوا خونة للعهود والمواثيق ساعة الشدة والعسرة يوم غزوة الأحزاب، عندما انحازوا إلى الأعداء.

هذا هو الموقف الإسلامى من الأسرى.. كما حددته الآيات المحكمة فى القرآن الكريم.. وكما وضعه رسول الله ﷺ فى الممارسة والتطبيق.

ولقد مضى هذا الموقف الإسلامى سنة متبعة على امتداد تاريخ الإسلام.. فلم يسلك المسلمون سبيل الانتقام من الأسرى، حتى عندما سلك الغزاة الغربيون سبيل القتل لأسرى المسلمين، طوال ذلك التاريخ!

* * *

فالصليبيون الذين غزوا القدس [٤٩٢هـ ـ ١٠٩٩م] قد ذبحوا وأحرقوا كل من وقع

فى أيديهم من المسلمين، حتى الشيوخ والنساء والأطفال ـ ذبحوا سبعين ألفًا ـ حتى الذين احتموا بمسجد قبة الصخرة ـ مسجد عمر بن الخطاب ـ ذُبحوا، وسبحت خيول الصليبيين فى دمائهم إلى لجم الخيل ـ كما نقل ذلك عن شهود العيان رجل الدين النصرانى صاحب كتاب [تاريخ الحروب المقدسة فى المشرق]!!

ولم يقترف جرم قتل الأسرى والمدنيين غير المحاربين فرسان الإقطاع الصليبيين وحدهم.. بل لقد كان رجال الدين النصارى ـ نعم رجال الدين! ـ فى مقدمة الذين اجترحوا هذه الفظائع والسيئات.. ولقد وصف المؤرخ الأوروبى «ميشائيل درسيرر» **صنيع «البطريرك نفسه فى هذه المذبحة... عندما كان يعدو فى أزقة بيت المقدس، وسيفه يقطر دمًا، حاصدًا به كل من وجده فى طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة وقبر المسيح، فأخذ فى غسل يديه تخلصًا من الدماء اللاصقة بها، مرددًا كلمات المزمور:**

«يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم، فيقول الناس: حقًا إن للصدّيق مكافأة وإن فى الأرض إلهًا يقضى» ـ المزمور ٥٨: ١٠ ـ ١١.

ثم أخذ فى أداء القداس، قائلا: «إنه لم يتقدم فى حياته للرب بأى قربان أعظم من ذلك ليرضى به الرب»[١٧]!

هنا يمكن للدراسات التاريخية أن تقدم الحقائق التى تعرض لونين من «الأبرار».. أبرار يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فيطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا.. ويجاهدون نوازع الثأر وغرائز الانتقام من الأسرى الذين قتلوا إخوانهم، مرجحين ومختارين الطاعة لله، الذى لو شاء لانتصر وانتقم منهم، والذى جعل للشهداء نعيمًا يداوى التذكير به نوازع الثأر ويذهب بغرائز الانتقام.

وفى المقابل ـ الغربى ـ هناك «أبرار» يفرحون عندما يغتسلون بدماء الأسرى.. زاعمين أن هذا هو القضاء الإلهى، مكافأة للصديقين... والقربان الأعظم الذى يتقربون به إلى الله!!

فالرب هنا هو رب الجنود، المتعطش للدماء.. الذى جعل ـ بزعمهم ـ سفك دماء الأسرى أعظم القربات الجالبة لرضاه!

وفى مقابل هذه الصفحة ـ الغربية ـ من صفحات التعامل مع الأسرى، يمكن للدراسات التاريخية أن تعرض صنيع صلاح الدين الأيوبى [٥٦٤ ـ ٥٨٩هـ/ ١١٦٩ ـ ١١٩٣م] مع الأسرى، إبان حروب التحرير للمدن والبقاع التى صنع الصليبيون هذا الذى صنعوه مع أسراها المسلمين. . وهى صفحة مليئة بالوقائع المضيئة، والقصص الإنسانية، والأخلاقيات السامية للفروسية الإسلامية، التى شهد بها الغربيون قبل المسلمين!

وصفحة أخرى من صفحات تاريخ التعامل مع الأسرى. . سطرتها وقائع الغزوة الصليبية لميناء «دمياط» ـ بشمالى مصر ـ. فعندما دخل الصليبيون مدينة دمياط [فى ذى القعدة سنة ٦١٥هـ ـ يناير ١٢١٩م] ـ ماذا صنعوا بالأسرى والمستضعفين من المدنيين غير المحاربين؟

تقول الشهادات الغربية: «**إنهم أبادوا جميع من بها، بناء على أوامر البابا ومبعوثيه الكرادلة ورجال الكنيسة**»!

[وفى مقابل هذا الموقف. . ماذا كان صنيع المسلمين، بقيادة السلطان الأيوبى «الملك الكامل» [٥٧٦ ـ ٦٣٥هـ/ ١١٨٠ ـ ١٢٣٨م] فى معركة تحرير «دمياط» [٦١٨هـ ـ ١٢٢١م]؟. . أى ماذا صنع المسلمون مع الأسرى الصليبيين، الذين سبق أن أبادوا جميع الأسرى المسلمين؟. .

مرة أخرى، تشهد المصادر الغربية على «**أن الملك الكامل عندما انتصر على هذه الحملة الصليبية، أكرم أسراهم ولم يقتص منهم: العين بالعين والسن بالسن، وإنما أطعمهم فى مسغبة أربعة أيام طوال، مرسلاً إلى جيشهم المتضوّر جوعًا كل يوم ثلاثين ألف رغيف، ومواد غذائية أخرى**.

ولقد شهد بهذا الإكرام أحد هؤلاء الأسرى ـ عالم الفلسفة اللاهوتية القسيس «أوليفروس» ـ من كولونيا. . على نهر الراين، بألمانيا ـ فكتب رسالة إلى الملك الكامل، قال فيها:

«**منذ تقادم العهود، لم يسمع المرء بمثل هذا الترفق والجود، خاصة مع أسرى العدو اللدود. ولما شاء الله أن نكون أسراك، لم نعرفك مستبدًا طاغية، ولا سيدًا داهية، وإنما عرفناك أبًا رحيمًا، شملنا بالإحسان والطيبات، وعونًا منقذًا فى كل النوائب والملمات. ومن ذا الذى يمكن أن يشك لحظة فى أن مثل هذا الجود والتسامح والرحمة من عند الله؟**

إن الرجال الذين قتلنا آباءهم وأبناءهم وبناتهم وإخوانهم وأخواتهم، وأذقناهم مر العذاب، لما غدونا أسراهم، وكدنا نموت جوعًا، راحوا يؤثروننا على أنفسهم على ما بهم من خصاصة، وأسدوا إلينا كل ما استطاعوا من إحسان، بينما كنا نحن تحت رحمتهم لا حول لنا ولا سلطان»[١٨].

لقد كتب القسيس والفيلسوف اللاهوتي الألماني «أوليفروس» هذا الذي كتبه، ليس كمجرد شاهد عيان، وإنما عن تجربة شارك بها في قتل المسلمين الأسرى، ثم إذا هو - عندما وقع أسيرًا مع جيشه الصليبي يجد المسلمين الذين قُتل أهلهم أسرى - يؤثرونه وزملاءه على أنفسهم - مع الخصاصة - كتب هذا الرجل ذلك، دون أن يدري أن هؤلاء المسلمين إنما كانوا يقيمون الدين الإسلامي، ويجسدون الوحي القرآني الذي نزل به الروح الأمين على قلب الصادق الأمين - عليه الصلاة والسلام - في معاملة الأسرى - فهو دين.. وهي سماحة الإسلام.. وليست مجرد أريحية لحاكم من الحكام، أو شعب من الشعوب.. ولعل عبارة هذا «القسيس - الأسير» قد أشارت إلى هذه الحقيقة عندما قال - عن هذه المعاملة الإسلامية للأسرى - **«ومن الذي يشك لحظة أن مثل هذا الجود والتسامح والرحمة من عند الله؟!»**.

***

وإذا كان الغرب، الذي أدهشته السماحة الإسلامية عند صلاح الدين الأيوبي، والملك الكامل، قد حاول بعض كتابه أن يقدموا الملك الإنجليزي الصليبي «ريتشارد قلب الأسد» [١١٨٩ - ١١٩٩م] في صورة تشبه صورة صلاح الدين، فإن قضية معاملة الأسرى - بشهادة الغربيين أنفسهم - قد فضحت هذه المحالات.. وكما تقول المستشرقة الألمانية «سيجريد هونكة»:

«ففي حين تمكن صلاح الدين الأيوبي من استرداد بيت المقدس [٥٨٣هـ ١١٨٧م] التي كان الصليبيون قد انتزعوها من قبل [٤٩٢هـ - ١٠٩٩م] بعد أن سفكوا دماء أهلها في مذبحة لا تدانيها مذبحة وحشية وقسوة، فإن صلاح الدين لم يسفك دم سكانها من النصارى انتقامًا لسفك دم المسلمين، بل إنه شملهم بمروءته، وأسبغ عليهم من جوده ورحمته، ضاربًا المثل في التخلق بروح الفروسية العالية».

ثم تمضى هذه الشهادة الغربية، لتقارن ذلك بما صنعه الملك «ريتشارد قلب الأسد» من الإبادة لأسرى المسلمين، بعد أن قطع لهم عهد الأمان!! . . فتقول:

«وعلى العكس من المسلمين، لم تعرف الفروسية النصرانية أى التزام خلقى تجاه كلمة الشرف أو الأسرى . . فالملك ريتشارد قلب الأسد، الذى أقسم بشرفه لثلاثة آلاف أسير عربى أن حياتهم آمنة، إذا هو فجأة متقلب المزاج، فيأمر يذبحهم جميعًا»[١٩].

* * *

وتستمر صفحات تاريخ هذا الصراع فى تقديم الوقائع والمواقف والدروس والعبر والعظات للدراما التاريخية ـ فى هذا الميدان: التعامل مع الأسرى بين الشرق الإسلامى والغرب الاستعمارى ـ فنجد موقف الحملة الفرنسية. التى قادها «بونابرت» [١٧٦٩ ـ ١٨٢١م] والتى جاءت إلى بلادنا رافعة أعلام الثورة الفرنسية، وشعارات «الحرية» و«الإخاء» و«المساواة»، و«فلسفة الأنوار» . . نجد موقفها من الأسرى متجسداً فى صنيع بونابرت [١٢١٤هـ ـ ١٧٩٩م] مع أهل مدينة «يافا» ـ فى فلسطين ـ ومع آلاف الجنود الذين وقعوا فى الأسر، والذين استسلموا بعد أخذهم الأمان على حياتهم.

إن الدراسة التاريخية مدعوة لاستدعاء هذه الصفحة من صفحات التعامل الفرنسى مع الأسرى المسلمين، والتى صنعها «بونابرت» سنة ١٧٩٩م ـ أى فى الذكرى السبعمائة لصنيع الصليبيين الأول بمدينة القدس وأسراها!

ولقد سجل المؤرخون الفرنسيون هذه الصفحة، ونقلها عنهم المؤرخ الوطنى عبد الرحمن الرافعى [١٣٠٦ ـ ١٣٨٦هـ/ ١٨٨٩ ـ ١٩٦٣م] فقال:

«لقد وصل نابوليون بجيشه تجاه يافا يوم ٣ مارس سنة ١٧٩٩م، وكان الجيش العثمانى، بقيادة عبد الله باشا الجزار [١١٣٢ ـ ١٢١٩ هـ/ ١٧٢٠ ـ ١٨٠٤م] ممتنعًا بها، فحاصرها نابوليون بجنوده، واستولى عليها يوم ٧ مارس، بعد معركة شديدة قتل فيها من الجنود العثمانية نحو ٢٠٠٠ قتيل، ودخل الفرنسيون المدينة، وأعملوا فيها السيف والنار.

لقد نهب الجنود الفرنسية يافا، وارتكبوا فيها من الفظائع ما تقشعر منه الأبدان ـ

باعتراف المؤرخين الفرنسيين ـ واستمر النهب والقتل يومين متواليين، واضطر الجنرال «روبان ـ Robin» ـ الذى عينه ناپوليون قائداً للمدينة ـ أن يقتل بعض الجنود لإعادة النظام، فذهب جهده عبثًا. ولم ينقطع النهب إلا بعد أن كَلَّ الجنود من الاعتداء وسفك الدماء.

ويقول بعض المؤرخين: إن الدماء التى سُفكت فى يافا، وأشلاء الجثث التى تُركت بها عدة أيام، كانت من أسباب انتشار الوباء بين العسكر، وهو الوباء الذى كان من العوامل الرئيسية لإخفاق الحملة الفرنسية على سورية»[٢٠].

فنفس الذى حدث بالقدس ـ سنة ١٠٩٩م ـ حدث فى يافا ـ سنة ١٧٩٩م ـ عندما استمرت المجزرة والإبادة للأبرياء والأسرى حتى «كَلَّت أيدى القتلة» من القتل والذبح وسفك الدماء!.. وهذا التعبير: «كلت الأيدى من القتل» نجده ـ بالحرف ـ فى وصف مجزرة القدس سنة ١٠٩٩م بكتاب [تاريخ الحروب المقدسة فى المشرق المدعوة حرب الصليب] ـ المجلد الأول ص ١٧٤ ـ كما نجده ـ بالحرف ـ فى وصف المذبحة الفرنسية فى يافا سنة ١٧٩٩م!!

كما نجد ما صنعه الملك الإنجليزى «ريتشارد قلب الأسد» مع آلاف الأسرى المسلمين، الذين ذبحهم بعد أن أعطى لهم الأمان!.. يعيد صنعه القائد الفرنسى بونابرت عقب استيلائه على يافا سنة ١٧٩٩م، مع ثلاثة آلاف من أسرى الجيش العثمانى، الذين أمَّنهم على حياتهم، ثم غدر بهم وذبحهم، فى مجزرة وصفها المؤرخون الفرنسيون، ونقل وصفها عنهم المؤرخ عبد الرحمن الرافعى، فقال:

«ولم يكد ينقطع النهب لمدينة يافا، حتى أعقبته مأساة أخرى أشد هولاً وفظاعة، وذلك أنه بعد انتهاء المعركة ودخول الفرنسيين المدينة، كان بها من الجنود العثمانية نحو ثلاثة آلاف مقاتل، آثروا التسليم وإلقاء السلاح فى يد الفرنسيين بشروط اتفقوا عليها مع اثنين من ياوران ناپوليون، وهما «بوهارنيه ـ Beauharnais» و«كروازييه ـ Croisier». ومن هذه الشروط: أن تضمن لهم أرواحهم بعد التسليم، وتعهد الياوران بذلك باسم القائد العام ـ [بونابرت] ـ وتلقاهم الفرنسيون كأسرى حرب، ولكن ناپوليون، بعد أن فكر طويلاً فى أسرهم، وتردد فى شأنهم، أمر بإعدامهم

جميعًا رميًا بالرصاص. وحجته فى ذلك أنه كان عاجزا عن إطعامهم وحراستهم فى بلاد نائية لم يستتب له فيها الأمر!!.. فسيق أولئك الأسرى إلى شاطئ البحر وأعدموا جميعًا رميًا بالرصاص»!!

ولقد نقل الرافعى عن المؤرخ «ريبو» ـ صاحب كتاب [التاريخ العلمى والحربى للحملة الفرنسية] ـ تأثير هذه المجزرة وعواقبها، الذى قال فيه: **«إن ثلاثة آلاف من الأعداء قُتلوا مرة واحدة. ولكن الجنود الباقين قد زاد عددهم، وتضاعفت جهودهم للأخذ بالثأر، ورأوا فى مصير إخوانهم الذين ذبحهم الفرنسيون نموذجًا للإنسانية الفرنسية، فأصبح القتال بينهم وبين الجيش الفرنسى صراعًا إلى الموت. وحصد نابوليون تحت أسوار عكا ما غرسه على شاطئ يافا»**[٢١].

***

تلك نماذج شاهدة ـ وهى مجرد نماذج ـ لصفحات من التاريخ، مليئة بالوقائع والدروس والعبر والعظات والدلالات والإيحاءات:

١ ـ صفحة التحالفات غير المقدسة ضد الإسلام والمسلمين.. التى نواجهها اليوم.. كما واجهها أسلافنا منذ فجر تاريخ الإسلام.. وعبر هذا التاريخ.

٢ ـ وصفحة الكيانات الاستيطانية الاستعمارية المغروسة قسرًا فى قلب وطن الأمة.. تلك التى نواجهها اليوم على أرض فلسطين.. والتى واجهها أسلافنا ـ على ذات الأرض ـ فى تاريخنا الإسلامى الوسيط.

٣ ـ وصفحة الغواية الاستعمارية للأقليات فى بلاد الإسلام.. تلك التى نواجهها اليوم.. والتى واجهناها منذ الحروب الصليبية، وحتى الغزوة الاستعمارية الحديثة لبلادنا.

٤ ـ وصفحة الموقف من المقدسات الدينية.. وكيف تعامل معها الإسلام.. وكيف دنسها الغربيون، على امتداد تاريخ صراعهم ضد الإسلام والمسلمين.

٥ ـ وصفحة التعامل مع الأسرى.. وكيف تعامل معها الإسلام وأمته وحضارته.. وكيف وقف منها الغرب ـ موقف الغدر والخيانة والإبادة ـ على امتداد تاريخ صراعه مع الإسلام؟

وإذا كانت هذه الصفحات ـ من التاريخ ـ هى مجرد نماذج وإشارات . . فإن هناك صفحات :

* التاريخ الإسلامى فى الانفتاح على الحضارات غير الإسلامية . . وسير وجهود العلماء الذين أبدعوا فى مختلف ميادين العلم المدنى منذ فجر ظهور الإسلام . .

* والتاريخ الإسلامى فى ميادين التربية وتهذيب القلوب .

* والتاريخ الإسلامى للمجاهدين الذين فضلوا الرباط على ثغور الإسلام على العكوف فى المحاريب .

* والتاريخ الإسلامى لتحرير المرأة . . والذى صنع ـ فى مدرسة النبوة ـ قيادات وريادات نسائية، شاركت فى إقامة الدين وبناء الدولة وصناعة الحضارة . . واستمرت تعطى وتعلم وتبدع ـ عبر تاريخنا الحضارى ـ رغم ما أصاب حضارتنا من تراجع وهبوط وجمود . .

* والتاريخ الإسلامى مع الخوارج، الذين مثلوا نزيفًا للدولة الإسلامية والمجتمعات الإسلامية . . دون أن يحققوا أكثر من هذا النزيف!

* والتاريخ الإسلامى لمؤسسات الوقف، التى موّلت ـ أهليًا ـ صناعة الحضارة الإسلامية، وإقامة العدل الاجتماعى على مر هذا التاريخ .

وغيرها . . الكثير . . والكثير من صفحات التاريخ .

إنها صفحات، يمكن للدراسات التاريخية أن تقدمها من خلال وسائل الإعلام المعاصر، لتثقيف الأمة بالقيم الإسلامية، المقارنة بالسلوكيات الغربية . . ولتصحح المفاهيم الإسلامية المعاصرة، بحقائق الإسلام وتاريخ أمته . . ولترد كيد المفترين على الإسلام وأمته وحضارته وتاريخه .

* * *

إنها صفحات من الوعى بالتاريخ ـ وليس مجرد القراءة للتاريخ ـ تضع ـ بالدراسات المقارنة ـ حقائق الإسلام إزاء الموقف من المقدسات، فى مواجهة صفحات الخزى والعار التى جسدها تاريخ الغرب الاستعمارى إزاء مقدسات الإسلام والمسلمين .

الهوامش:

(١) ابن القيم: [زاد المعاد من هدى خير العباد] جـ٣ ص ٥٤٩، ٥٥٠. تحقيق: شعيب الأرناءوطى، عبد القادر الأرناءوطى، طبعة بيروت، سنة ١٩٩٧م.

(٢) د. محمد حميد الله ـ محقق ـ: [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة] ص ١١١ ـ ١٢٨، طبعة القاهرة، سنة ١٩٥٦م.

(٣) ابن عبد الحكم: [فتوح مصر وأخبارها] ص ٤٦، طبعة ليدن، سنة ١٩٢٠م.

(٤) [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة] ص ٣٤٥، ٣٤٦.

(٥) [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى] ص ٢٠١، ٢٢٠. ترجمة ـ ودراسة: د. عمر صابر عبد الجليل. طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

(٦) د. صبرى أبو الخير سليم: [تاريخ مصر فى العصر البيزنطى] ص ١٩٤ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.

(٧) المرجع السابق. ص ٦٢.

(٨) ساويرس بن المقفع: [تاريخ البطاركة] جـ١ ـ والنقل عن: سناء المصرى [حكايات الدخول] ص ١٣٥. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٦م.

(٩) المقريزى: [الخطط] جـ٣ ص ٥٣٧، ٥٣٨. طبعة دار التحرير ـ القاهرة. والكندى. أبو يوسف ـ [كتاب الولاة والقضاة] ص ١٣٢. طبعة بيروت سنة ١٩٠٨م.

(١٠) سيجريد هونكة: [الله ليس كذلك] ص ٢٢. ترجمة: د. غريب محمد غريب، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م.

(١١) مكسيموس مونروند: [تاريخ الحروب المقدسة فى المشرق، المدعوة حرب الصليب] المجلد الأول. ص ١٧٢، ١٧٦. ترجمة: مكسيموس مظلوم. طبعة أورشليم سنة ١٨٦٥م.

(١٢) ول ديورانت [قصة الحضارة] المجلد الرابع: الجزء الرابع. ص ٤٦ ـ ٥٣. طبعة القاهرة.

(١٣) الجبرتى: [مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس] ص ٧٢. تحقيق: د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٨م.

(١٤) عبد الرحمن الرافعى: [ثورة سنة ١٩١٩م] جـ١ ص ١٧٥ ـ طبعة دار الشعب ـ القاهرة.

(١٥) المصدر السابق. ص ٧٦ ـ ٧٨.

(١٦) صحيفة [العالم الإسلامى] ـ مكة المكرمة ـ العدد ١٨٦٧ فى ١٦ شوال سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٩ نوفمبر سنة ٢٠٠٤م.

(١٧) سيجريد هونكة: [الله ليس كذلك] ص ٢٢. ترجمة د. غريب محمد غريب. طبعة القاهرة، سنة ١٩٩٥م.

(١٨) المرجع السابق ص ٣٣، ٣٤.

(١٩) المرجع السابق، ص ٣٤.

(٢٠) عبد الرحمن الرافعى: [تاريخ الحركة القومية] جـ٢ ص ٢٩، طبعة القاهرة، سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

(٢١) المصدر السابق. جـ٢ ص ٣٠.

***

المصادر والمراجع

* **ابن عبد الحكم** : [فتوح مصر وأخبارها] طبعة ليدن سنة ١٩٢٠م.

* **ابن القيم** : [زاد المعاد من هدى خير العباد] تحقيق : شعيب الأرناءوطى ، عبد القادر الأرناءوطى . طبعة بيروت سنة ١٩٩٧م.

* **الجبرتى** : [مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس] تحقيق : د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : طبعة القاهرة سنة ١٩٩٨م.

* **سناء المصرى** : [حكايات الدخول] طبعة القاهرة سنة ١٩٩٦م.

* **سيجريد هونكة** : [الله ليس كذلك] ترجمة : د. غريب محمد غريب . طبعة دار الشروق القاهرة سنة ١٩٩٥م.

* **د. صبرى أبو الخير سليم** : [تاريخ مصر فى العصر البيزنطى] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.

* **عبد الرحمن الرافعى** : [ثورة سنة ١٩١٩م] طبعة دار الشعب ـ القاهرة.

[تاريخ الحركة القومية] طبعة القاهرة سنة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م.

* **الكندى ـ أبو يوسف** : [كتاب الولاة والقضاة] طبعة بيروت سنة ١٩٠٨م.

* **د. محمد حميد الله** ـ محقق : [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.

* **المقريزى** : [الخطط] طبعة دار التحرير ـ القاهرة.

* **مكسيموس مونروند** : [تاريخ الحروب المقدسة فى المشرق ، المدعوة حرب الصليب] ترجمة مكسيموس مظلوم . طبعة أورشليم سنة ١٨٦٥م.

* **ول ديورانت** : [قصة الحضارة] طبعة القاهرة.

* **يوحنا النقيوسى** : [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى] ترجمة ودراسة : د. عمر صابر عبد الجليل . طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

دوريات : [العالم الإسلامى] ـ مكة المكرمة ـ .

* * *